الموسم

مجلة فصلية مُصوّرة تعنى بالآثار والتراث

مجلة الموسم (العدد 12) – 1991 – 1412

مجلة فصلية مصورة تعنى بالآثار والتراث

صاحبها ورئيس تحريرها

محمّد سعيد الطريحي

شماره ثبت
تاریخ

جميع الحقوق محفوظة ومسجلة
مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ترسل جميع المراسلات والطلبات بإسم صاحب المجلة الى :

المركز الوثائقي لتراث اهل البيت عليهم السلام

اكاديمية الكوفة

هولندا

AL KUFA HOUSE POST BUS 1113
3260 AC OUD - BEIJRLAND
HOLLAND

Shiabooks.net

الاشتراك السنوي للأفراد ٥٠ $ وللمؤسسات ١٠٠ $.

السر في خلود الأدب الحسيني

الدكتور محمد بحر العلوم

انّ من سنن التاريخ أن تبلى الامور على مرّ الزمن ، ولم يبق منها إلا ذكر لنا إذا كانت تملك مقوماً للبقاء والديمومة ، وقد لا يكون هذه أيضاً حقيقة ثابتة اللهم إلا قضايا العقيدة فهي المستثناة من ذلك ، فأنها بحكم إرتباط الأنسان بها ، وتفاعلها مع المجتمع تبقى مشحونة بالفكر ، وتمتزج بالسلوك ، وتتسامى مع المشاعر مما يؤمن لها الاستمرار ، ويحفظ فيها الأصالة .

من هذه الأمور المحدودة جداً «القضية الحسينية» ، وهي بلا شك أخذت مع الزمن أبعاداً كبيرة ، قد لا تصل اليها قضية أخرى ما لم تكن لها جذروها الاساس في البعد العقائدي ، والتي لها علاقة بالمأثرة الوجدانية ، أو الاحساس العاطفي . فالقرآن الكريم ـ مثلاً ـ خالد مع الأيام ، لأنه كتاب الله المنزل لعباده ، والذي يتكفل لهم سُبل بقاء المجتمع واستمراريته على أساس من العدل والرحمة والكرامة . ونهج البلاغة ـ أيضاً ـ خالد مع الزمن ، لأنه «دون كلام الخالق ، وفوق كلام المخلوق» وهو في حقيقته من وحي القرآن العظيم ، وفكر محمد رسول الانسانية(ص) ، وعبقرية علي(ع) تلميذه وربيبه . والمصدر بهذه الأبعاد حري بالخلود ، واعجاز خلوده كلما تقرأ تلمس فيه الجدة وروعة الفكرة ، وعمق المعرفة ، ولا بد أن يكون هكذا . والقول في الامام الحسين(ع) ـ شعراً ونثراً ـ يخلد مع الزمن لا يعروه ملل ، ولا يخامره ما يُذهب عنه جدته . هذه الظاهرة الوجدانية لا يمكن نكرانها فمنذ قرون خلت يكتب محبُّوا الامام الحسين(ع) مأساته ، ونهضته شعراً ونثراً ، وتتلى على المسامع طول العام ، في مناسبات متعددة والسامع يتفاعل معها الى درجة كبيرة من اثارة المشاعر ، وتأجج العواطف ، واستنزاف الدموع ، وتفجر اللوعة ، وانبعاث الأهات . هنا يرد سؤال مهم ، لماذا هذا الخلود ؟ فإذا كان القرآن الكريم ميزة الخلود فيه باعتباره كلام الله لعباده الذين آمنوا بدينه ورسالته السماوية . وإذا كان نهج البلاغة من عبقرية الامام علي(ع) فهو بالتالي من عطاء نبي الرحمة محمد(ص) ، وهو القائل : «أنا مدينة العلم وعليّ بابها» ، وهذا سرّ خلوده ، وبقاء جدته . إذاً فما هو عامل خلود ما قيل في الامام الحسين(ع) شعراً أو نثراً ، والمحافظة على جدته وروعته ، رغم تلاوته وسماعه باستمرار ومن دون كلل أو ملل ؟ قد لا يكون من السهل تفسير بعض هذه الظواهر ، ولكن من الممكن إعطاء بعض الملامح عنها والتي تقربنا من الإجابة .

أولاً : ان القضية الحسينية ذاتها لها ميزتها

* كلمة كتبها بعد اطلاعه على كتاب (من لا يحضره الخطيب) للاستاذ الخطيب السيد داخل السيد حسن .

الخاصة على سائر القضايا المأساوية التي منيت بها المسيرة الاسلامية في تاريخها الطويل ، نظراً لجسامة الفداء ، وعظم التضحية والصمود الفريد في سبيل العقيدة من الإمام الحسين (ع) دون غيره من عظماء الاسلام وقادته .

ثانياً : ان المأساة الجسيمة التي تجسدت في يوم عاشوراء بكربلاء بكل أبعادها الجزئية والكلية دللت على واقعية الوفاء والولاء للصراع بين الحق والباطل ، والتفاني من كل جهة منها في سبيل مبادئها الانسانية ، واللا انسانية ، والاستعداد الكامل للتضحية من أجلها إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر .

ثالثاً : ان الحسين (عليه السلام) بموقفه يوم عاشوراء بدء موكب التحدي الصارخ لمجابهة الانحراف الذي كاد يعيد عصر الجاهلية من جديد ، وكان من الضروري لعملية التغيير أن يحدث الموقف الفدائي المضاد ، ويصبح الخط الحسيني طوال الزمن هو النبراس لكل المجاهدين لتقويم الانحراف ، ووضعه في مساره السليم . ومن هنا التعبير الواقعي لهذه الثورة التصحيحية عبر العصور يساق بكل أبعادها من خلال التجسيد النضالي ـ شعراً ونثراً ـ وتبقى في حرارتها دفقة التفجر العاطفي لدفع الجماهير المظلومة الى الاقتداء بهذا الخط الحسيني من أجل بناء مجتمع انساني حر تقوم دعائمه على العدالة والاصلاح .

هذه الروح الحسينية الرائدة هي القوة الاعجازية الثابتة في الشعر والنثر الحسيني باعتبارها وجوداً متحركاً في عملية الثورة العقائدية .

ومن هذا المنطلق نقيّمُ جهد الأخ الفاضل ، والخطيب اللامع السيد داخل السيد حسن ـ حفظه الله ـ في كتابه القيم «من لا يحضره الخطيب» . فقد ضمن الجزء الأول مجموعة رائعة من مراثي الامام الحسين (ع) لعدد من الشعراء ـ قديماً وحديثاً ـ وفي عمله هذا قدم للقراء عامة ، وقراء الأدب الحسيني خاصة اضمامة رائعة من الشعر الخالد يستطيع المتتبع أن يتجول في رياض هذا الأثر الفني العظيم بما يغنيه عن مراجع هذا الحقل في موسوعات الأدب والتاريخ ، ودلل من جهة عن ذوق رفيع ، واختيار جيد أثبت ذوق وحسن اختيار الجامع .

ثم في الجزء الثاني قدم بحوثاً ومواضيع متنوعة في شتى أنواع المعرفة الاسلامية وربطها بالقضية الحسينية ، فكراً ، وتفسيراً ، وتاريخاً ، وأدباً مما دل على سعة اطلاع وتنوع معرفة كاتبها ، وهو بذلك قد قرن العمل الخطابي ـ نهجه السديد ـ الى العمل التأليفي ، ولكليهما أثر في تثقيف الانسان المسلم الذي يلتزم خط الامام الحسين (ع) في حياته الرسالية .

ولا شك اننا سنجد في الجزئين الثالث والرابع ما يضفي علينا لوناً جديداً من العمل الموسوعي الذي تنشدُّ إليه الجماهير العاشقة للحسين (ع) والمؤمنة بخطه التضحوي .

إني في الوقت الذي أقدر هذا الجهد للأخ العزيز فضيلة الخطيب السيد داخل فإني أتمنى من أعماق قلبي له كل الموفقية في مشروعه الثقافي هذا راجياً أن يقتدي به زملائه الكرام ، فرسان الخطابة ، ورواد المنبر الحسيني في طبع محاضراتهم تعميماً للفائدة ، ونشر نهضة الإمام سيد الشهداء في الوقت الذي نحن بحاجة إلى هذا الواقع الفكري ، وضرورة تحمل المسؤولية في هذا الظرف العصيب ، الذي تكالب فيه أعداء الإسلام على إجتثاث الحضارة الإسلامية إنطلاقاً من الحديث الشريف «بدء الإسلام غريباً ، وسيعود غريباً» .